18me année No 877

Le Caire 24—4— 1950

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

AKRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٨٧٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٦٩ — ٢٤ أبريل سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

« حيـــاتى » *

« حياتى » هى حياة صديق الدكتور أحمد أمين بك ، ألفتها الوراثة والبيئة والأقدار والظروف والمواهب والأخلاق والجهود فى مدى أربع وستين سنة ، فجاءت فصلا متميزا من كتاب الحياة العام . وقليل من الناس من يتهيأ بفطرته وعبقريته ليكون مادة من مواد هذا الكتاب . أما الأكثرون فأكثرهم ينكرهم المؤلف الأعظم إنكاره للمعدوم، وأقلهم يذكرهم إما لحقا فى حاشية وإما عرضا على هامش .

هذا الفصل الطويل الحفيل لخصه أحمد أمين بقلمه فجاء قصة من قصص البطولة النفسية فى ثلثمائة وخمسين صفحة من الحجم اللطيف ، تقرأها وأنت ترجو ألا تشغل عنها ، وتفرغ لها وأنت ترجو ألا تفرغ منها !

قرأتها فى جلستين اثنتين على كلال بصرى ووهن أعصابى ، فكنت كأنى أشهد بخيالى وذهنى فلما ثقافيا عجيب المناظر مختلف الألوان جم الصور يمتع العقل والقلب جميعا .

كان ما أجده من الشوق واللذة وأنا أقرأ « حياتى » لأحمد أمين ، يشبه ما كنت أجده من الشوق واللذة وأنا أقرأ « الأيام » لطه حسين : شوق ولذة من نوع غريب الطعم والأثر لم أذقهما فى حياتى الأدبية قبل هاتين المرتين فى هذين الكتابين . وليس معنى ذلك أن « حياتى » و « الأيام » يشتركان فى مذهب فنى واحد ، بل معناه أنهما يشتركان فى اجتذاب النفوس وامتلاك المشاعر بشىء آخر غير الفن . قد يكون ذلك الشىء فى الجمال النفسى الذى يتجلى فى الصدق حين يجوز الكذب ، وفى الصراحة حيث تنفذ الكناية ، وفى التفصيل حيث يسهل الإجمال .

وقد يكون فى الروح القوى الذى يهيمن على الكتابين ، فيظهر هناك فى عمق الشعور ، كما يظهر هنا فى عمق الفكر

وقد يكون فى التصوير الدقيق البارع لتربية روحية مسختها المادة، وبيئة شعبية نسختها المدنية ، ولا يزال لهما فى أعماق النفوس أثر وبالقلوب نوطة .

وقد يكون فى أولئك كله ، وما أولئك كله إلا الصفات الجوهرية التى لا بد منها للمكتوب الصحيح وللكاتب الحق

عبر صادقا عن نفسك تتجاوب أنت والناس ، وانقل أمينا عن بيئتك تتعارف أنت والطبيعة .

* * *

قال لى صديق ذات يوم ونحن جالسان فى المجمع . صابحت

---

* كتاب للدكتور أحمد بك أمين نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر

إليك بأول نسخة تخرجها المطبعة من كتابى ، وسأمضى فيه على رأيك ولو كلفنى ذلك تفريق ما جمع وتمزيق ما طبع ؛ فإنى ضعيف الثقة بما أعمل . فلما مضيت فى الكتاب تبين لى أن ضعف الثقة فى الصديق لم يأته من اشتباه الحق ولا من التباس الصواب ، وإنما أتاه من اتساع المسافة فى نفسه بين ما يريد وبين ما يستطيع ، ومن شدة الاختلاف فى رأيه بين ما يجب وبين ما يكون .

وإذا كان صديق فى هذا الكتاب بالذات كثير التردد فى كتابته ، كثير التشكك فى إفادته ، فهو يقول فى المقدمة : « لم أتهيب شيئاً من تأليف كما تهيبت من إخراج هذا الكتاب ؛ فإن كل ما أخرجته كان غيرى المعروض وأنا العارض ، أو غيرى الموصوف وأنا الواصف . أما فى هذا الكتاب فأنا العارض والمعروض والواصف والموصوف . والعين لا ترى نفسها إلا بمرآة . والشىء إذا زاد قربه صعبت رؤيته . والنفس لا ترى شخصها إلا من قول عدو أو صديق ، أو بمحاولة التجريد وتوزيعها على شخصيتين : ناظرة ومنظورة ، وحاكمة ومحكومة ، وما أشق ذلك وأضناه » ... « وترددت أيضاً فى نشره : ما للناس و « حياتى » ؟ لست بالسياسى العظيم ، ولا ذى المنصب الخطير ، الذى إذا نشر مذكراته ، أو ترجم لحياته ، أبان عن غوامض لم تعرف ، وخبآت لم تظهر ، فجلى الحق وأكمل التاريخ ؛ ولا أنا بالمغامر الذى استكشف مجهولا من حقائق العلم فحاول وصفه وأضاف ثروة إلى العلم ، أو مجهولا من العواطف كالحب والبطولة أو نحوها فجلاها وزاد بعمله فى ثروة الأدب وتاريخ الفن ؛ ولا أنا بالزعيم المصلح المجاهد ، ناضل وحارب ، وانتصر وانهزم ، وقاوم الكبراء والأمراء ، أو الشعوب والجماهير ، فرضوا عنه أحياناً ، وغضبوا عليه أحياناً ، وسعد وشقى ، وعذب وأكرم ، فهو يروى أحداثه لتكون عبرة ؛ وينشر مذكراته لتكون درساً . لست بشىء من ذلك ولا قريب من ذلك ، ففيم أنشر حياتى ؟ »

ومع ذلك استطاع أحمد أمين بوزانة عقله ورزانة خلقه أن يقول لحق أصرح ما يقال ، وأن يصدر الحكم أعدل ما يصدر ؛ كما استطاع بقوة شعوره وصدق تصويره أن يحقق الفائدة للقارىء ، فجعل من تاريخ حياته تاريخ حياة لمصر فى الربع الأخير من القرن الماضى ، والنصف الأول من القرن الحاضر ، فوصف عادات كادت تزول ، وسجل حوادث كادت تنسى ، وصور وجوها كادت تغيب ؛ فالحال الاقتصادية بسخرتها وقسوتها وثقل ضرائبها وسوء جبايتها فى قرية (سمخراط) بالبحيرة ؛ كانت هى الحال فى كل قرية من قرى الأقاليم . والحال الاجتماعية بطبقاتها وعاداتها واعتقاداتها فى (حارة المباديه) بالمنشية ، كانت هى الحال فى كل حارة من حارات القاهرة . والحال الشخصية بتربيتها ونفسيتها وعقليتها فى نفسه وأهله وصحبه وجيرته ، كانت هى الحال فى كل فرد من أفراد الشعب . وإن فى تصويره البيت والسقاء والمحدث والكتاب والأزهر ، وفى وصفه لأبويه وأخويه ، وصديقيه عبد الحكيم محمد وعلى فوزى ، وأستاذيه عاطف بركات ومس بور ، لنماذج من البيان المطبوع الذى يشرق بنور العقل وينبض بروح العاطفة . وإن من أجمل ما فى الكتاب تلك البراعات الذهنية التى تبدهك بين الصفحة والصفحة فى تحليل نفس ، أو تعليل حادث ، أو تأثير شخص فى شخص ، أو موازنة حالة بحالة . على أن مثل « حياتى » فى انبثاقها من البيت والحارة والكتاب والأزهر ، وفى تفرقها بعد ذلك فى نواحى العمل ووجوه الأرض وأشتات الأمر ، كمثل الدوحة العظيمة ، تكون عند الجذع قوية غليظة مكتنزة ، تضطرب بالحياة وتزخر بالخصب وتستمد غذاءها من جذورها الضاربة فى جوف الثرى ؛ فإذا تفرعت على ساقها انتشرت الأغصان وتشعبت الأفنان فتوزعت الحياة ، وتقسم الرى ، وخفت الحركة ، ولكن فيها مع ذلك الجمال والظلال والزهر والثمر ؛ فالقسم الأول من « حياتى » كأصل الدوحة عميق وثيق مكتنز لاستمداده من أعماق النفس ؛ والقسم الآخر كفروعها هش الأفنان منبسط الجوانب لامتداده فى آفاق الطبيعة .

والكتاب بعد ذلك قد كشف عن سر من أسرار الصناعة فى كاتبه . ذلك سر القصة . والنفس الفنانة عميقة كالكون ، سحيقة كالأبد ، فلا تنتهى أسرارها حتى ينتهى المجهول ، ولا تنقضى عجائبها حتى تنقضى الحياة !

أحمد حسن الزيات